كتاب الشهر

« دريس » ...

مأساة انسان الجزائر حين يدخل فرنسا !

للروائية الفرنسية
جانين اوريانو

عرض وتلخيص
الدكتور سهيل ادريس

« دريس » رواية فرنسية صدرت اخيرا عن دار « جانين اوريانو » يتوسمون لها مستقبلا لامعا في عالم السرد والتعبير ، ونزعة انسانية رائعة .

والذي يهم القارىء العربي من هذه الرواية انها تصور فرنسا سعيا وراء الرزق ، هذا الرزق الذي يحرمه اياه به في الارض الفرنسية .. ودريس فرد من ملايين وسائل العيش ، فلا يشعرون حتى بأنهم من طينة

اننا نراه يتيه شاردا في الطرقات ، خاوي البطن ، تسد في وجهه كل الابواب ، وترسل من يخدعه ويستلب الذي تظل للوعد والحب والكلمة فيه معان سامية ، كما نفسه على شدة حاجته لما يحفظ أوده . غير انه التي تحيط به وتتهدده في رزقه وحياته كلها ، فيتنبه وكأنه يرمز بذلك الى موقف بلاده المناضلة ضد قوى الثورة الجزائرية في نفس دريس ، وشعوره بيقظة

ويسر « الاداب » ان تقدم تلخيصا وافيا لهذه ضمائر بعض الاحرار في فرنسا . وبالرغم من ان في خاطئة ، فان فيها جهدا واضحا للاعتراف بحق الجزائر

« جوليار » بباريس . وهي اول اثر لكاتبة شابة تدعى القصة ، لما تمتلكه من حاسة فنية مرهفة ونضارة في

ابلغ تصوير مأساة الانسان العربي في الجزائر حين يدخل الاستعمار الفرنسي في وطنه وأرضه ، ويلوح له ويغريه يريدون اقناعهم بأنهم فرنسيون ، ثم يحرمونهم ادنى البشر !

ونتابعه في مراحل عذابه وسط مدينة لا تبالي به ، بل منه آخر دراهمه ، ويظل هو محتفظا بالحنين الى وطنه يظل محتفظا بحس العزة والكرامة ، فلا يرتضي ان يذل لا يستطيع ان يبقى طويلا في موقف الحياد من الشرور ويعيش على الحذر ويقابل الشر بالشر في آخر المطاف ، الشر والطغيان .. وكم يكون عميقا صدى اعلان امته وشعبه على حس الكرامة والانسانية .

الرواية الطيبة التي تثبت انه لا تزال ثمة جذوة في الرواية بعض مواقف تفسر نضال الجزائريين تفسيرات بالاستقلال والحرية .

« المترجم »

(1)

« وهذا اخر ... »

كلمتان كانتا كافيتين لخنق كل ما كان يعتلج في صدر « دريس » من أمل وفرح وحب . كلمتان كان يهمس بهما بين الفينة والفينة بعض المارة في شوارع باريس . وحين كان يسمعهما او يقرأهما في النظرات او يفاجئهما في حركة التراجع اللا ارادية التي كان يقوم بها اولئك الذين كان يحاذيهم ، كان يشعر باستعداد كبير ليضحي بكل شيء من اجل ان يتخلص من هذا الشعر الاسود المتطاير في الهواء . كان يود لو ان بشرته كانت اقل خشونة ، وعينيه اقل سوادا ، ولكنه كان يتمنى كذلك لو انه كان يملك بنطلونا غير مثقوب لدى الركبتين ، وحذاء نعله من جلد بدلا من هذا الخف المطاط .

ان دريس في الخامسة والعشرين . ولعل سبب هزاله انه اذا شبع يوما ، ظل يوما اخر على جوع . انه النموذج الممتاز للجزائري الذي يرى وهو يجرجر قدميه بمحاذاة الجسور وعلى ارصفة المقاهي ، وفي ذراعه كيس من الفستق السوداني . ولقد مضى شهر على وصوله الى باريس ، وكان شديد الفخر بانه يحسن التحدث بالفرنسية ، وعميق الامل بانه لن يلبث طويلا حتى يجد له عملا . ولكن مضى شهر بحث فيه عبثا عن عمل ، ورأى المال الذي كان يملكه يذوب بين اصابعه ، فجعل يتساءل بلا انقطاع : اترفض فرنسا التي توجه اليها بعد موت ابيه في « منصورة » ، أترفض فرنسا « بلده » ان تقدم له بضع اوراق تتيح له ان يقيم اود اسرته ؟ اذا كان الامر كذلك ، فما كان اصدق « كليم سيد » الذي صاح بهم قبيل سفرهم ان فرنسا لن تكون ارحم بهم من الجزائر ! وكم كان هو ، دريس ، على خطأ حين ابتعد اذ عرض الخطيب على مواطنيه ان يتحدوا ليصارعوا جنبا الى جنب ويقاوموا البطالة والبؤس وسائر الافات التي كانت تتهددهم .

وحين كان على ظهر الباخرة التي تقله الى فرنسا ، كان يعي التفوق

الذي اكتسبه على اقرانه من جراء تلك الاعوام الخمسة التي قضاها في المدرسة الفرنسية الاسلامية ، وكان يؤمن بان فرنسا لن تخيب امله .. اما الان ، هذا المساء .. فأيان يتوجه ليلتقط كسرة الخبز التي تخدع جوعه ؟

وكان يهبط شارع سان ميشيل خافض الرأس ، يخشى ان يلتقي عيون النساء ، حين سمع من يوجه له الكلام . وعلى هذا النحو تعرف بالانسة بلانش التي تمتمت تسأله بتردد : « هل تعشيت ياسيد ؟ » فصعد الدم الى وجنتيه ، ورأها تجره من ذراعه . وقال في نفسه انها مجنونة.. ولكنها تابعت تقول « أحب ان اقدم لك شيئا ... احب كثيرا » وبعدا له انها مصممة على الا تدعه يلوذ بالفرار ، فقبل وهو يشعر بوطأة الجوع تثقل عليه ، ولحق بها مترددا وهو يتفحصها ويقدر لها من العمر اربعين سنة ، ثم تركز تفكيره في انه سيأكل الان حتى الشبع . وحين بلغت البيت رجته الا يحدث ضجة حتى لاينتبه الجيران ويظنوا بهما الظنون ، وجلست قبالته في احدى غرف منزلها وهي تقول له « لابد انك تتساءل اية امرأة هذه التي تقودك هكذا الى بيتها .. » وبدا له انها قد فعلت ذلك لتروي له قصتها اذ بدأت تقول : « انني امرأة عانس اعيش وحدي كما ترى . ولكن منذ بضعة اسابيع ، كنت امرأة سعيدة افتى وانضر كثيرا مما انا اليوم . »

وروت له انها لم تتزوج وان اختها عهدت اليها ، وهي تموت ، في تربية ابنها التي كانت تحبه،كما لو انها كانت امه حقا ، فسهرت على تربيته حتى بلغ العشرين . واستطردت تقول :

ـ اما الان ، فلن اراه بعد ابدا . لقد مات . وقد قتله احد رفاقك الجزائريين ..

وذعر دريس وتحفز للفرار او للدفاع عن نفسه اذا خطر لها ان ترتمي عليه ، وحسب انه قد فهم سبب دعوتها اياه الى منزلها . ومع ذلك ، فلم يكن في نظرها اي حقد . وقد اخذت تحدثه بعد ذلك عن اخر رسالة تلقتها من « دانيال » وانه كان يقول دائما ان الجزائريين يعيشون في الشقاء ، وانه كان يود ان يساعدهم ويتمنى ان يعيش في الجزائر ، وانه كان يحبهم جميعا . واضافت تقول :

ـ ليس من اجل هذا دعوتك. لقد كتب لي دانيال بانكم كنتم اشقياء وان علينا ان نساعدكم ،وعلي انا ان اساعدكم .. ولشدة ما قرأت رسالته يبدو لي اني احمل هذه الكلمات في صدري ...

وكانت تتكلم كلاما مضطربا وتلوي يديها وهي تحدد نظرها فيه بما يشبه الذعر :

ـ لقد كنت كل صباح ابحث في الصحف عن اخبار الجزائر ، واخبار « العصاة » .. كانوا يقولون انكم كنتم تعذبون الجنود ، وكنت اتساءل عما اذا كنتم قد عذبتم دانيال قبل ان تقتلوه ، وكنت اكرههم واحقد عليكم ، ولكن ما ان اعود الى رسالته حتى يختلط كل شيء في رأسي . هل كنتم تقتلون النساء والاولاد ؟ وكنت اصيح : « ليذبحوهم جميعا ، ولينتقموا لي منهم ! » ولكني سرعان ماأسمع عبارة دانيال وهي ترتفع الى اذني كأنها عتاب : « انهم تعساء ، ويجب ان نساعدهم .. » فأشعر باني اخونه ، ويجن جنوني ، فمن الممكن ان يستحق غيره العقاب ، اما هو .. فلا .. اقسم لك انه لم يكن يستحق القتل !

ورأها تحبس دمعها وتلوي شفتيها بشكل توجع مؤلم ثم تقول :

ـ لم ارد في اول العهد ان ارى احدا . ولم اكن افكر الا فيه .. انه لم يكذب علي قط،ولم يكن ممكنا ان تكون كلماته الاخيرة مناقضة للحقيقة. ولقد توجهت اليه في صلواتي ، وشعرت انه كان يريد ان يهتم بكم . من اجل هذا دعوتك الى مرافقتي هذا المساء ، حين رأيت سحنتك الجائعة .

وأحس دريس بانها امرأة شقية ، ولكن لم يسعه الا ان يكن لها احتراما شبيها بهذا الذي كان يحسه لتماثيل القديسات التي كانت تزين كنيسة « منصورة » . وهو لم يسبق له ان التقى امرأة مثلها . لقد كان واجبها ان تساعده ، وقد رأها تبسط له يدها وتقول : « انني سعيدة جدا ، ونظر الى يده الخشنة الوسخة تشد على يدها الناعمة البيضاء ، فشعر بالخجل وسارع يسحب يده ويخفيها في جيبه خشية ان تراها . ثم احس فجأة بالخيبة : كيف يستطيع ان يكون صديقها ، وهما مختلفان هذا الاختلاف كله ؟ وجهد ليقول لها : « انني سعيد جدا بان تكوني قد اهتممت بي » ولكنه جعل يتساءل بعد لحظات : «والعشاء؟» وهم بان ينهض ، غير انه اخذ يترنح ، فنظرت اليه وسألته ما به فأجاب :

ـ ارجو المعذرة .. انني لم اكد اكل شيئا هذا الصباح !

... وحرق الكونياك حلقه لشدته ، بينما ابلغته انها ماضية لاعداد العشاء في المطبخ ، وتنفس الصعداء ، وتلمس قماش المقعد الذي يجلس

دار المعارف ببيروت

تختار للقارئ العربي الراقي

٦ من اشهر القصص البوليسية

ناخذ بلبك . فلا تترك الكتاب قبل ان تأتي على آخر صفحة فيه

الثلاث الاولى نالت جائزة امتياز في اميركا

الثلاث الاخريات ترقى فيها القصة البوليسية الى المستوى الادبي الرفيع

الثمن ١٥٠ قرشا لبنانيا او ما يعادلها

عليه واغمض عينيه ، وهو يحلم بان كائنا بشريا يعد له الطعام . لـــو عرف ابنها ، لساعده هذا الابن على ايجاد عمل . ومع ذلك ، اليـــس في فرنسا كلها من يعينه على ذلك ؟ ومد رجليه على السجادة النظيفة فعاوده الخجل وصمم على ان يستأذنها في ان يغتسل بعد ان يتناولا العشاء . واحس بالدفء يغمره ، فخلع سترته وطواها بحيث يخفي كمها الممزق . ثم اسرع يبتلع جرعة اخرى من الكونياك وهو يخشى ان تفاجئه في ذلك . واحس انه اصبح قادرا على الكلام ، واستولى عليه فـــرح شديد حين فكر بانه لو لم يكن هنا ، لكان في هذه اللحظات يبحث عـن ماوى وطعام ... طعام .. واحس بالجوع من جديد . « اذا سقطت ، فان يدا سترفع رأسي ، وتسقيني الكونياك . ليس معي درهم واحد ، ومـع ذلك فسوف اكل ، واشرب ، وهناك من يحدثني كما لو كنت كسائـر النـــاس . »

وتأخرت الانسة بلانش ، فاحس ببعض لالم ، « ستسألني ، وتستفسر عن كل شيء ، في الجزائر ، وعن الحياة كيف يعيشها الناس هنـــاك ، لقد انتهت قصتها ، واتى دور قصتي ، »

حياته : الطفولة ومدرسة منصوره وصداقته مع « جاك » الفرنسي الوحيد الذي عرفه حقا ، والحياة القاسية ، وموت الاب ، وازدياد قسوة الحياة ، والجوع ، الجوع ، الجوع ابدا ... ان شيئا من ذلك لايمكـــن ان يثير اهتمام احد . واستولى عليه الضيق ، فنهض مقتربا من احـد الابواب وهو يتردد في فتحه .. وبعد لحظات ألفى نفسه في غرفة تشبه ماكان يتخيله من غرف الفتيات الجميلات اللواتي كان يلقاهن في الشوارع ويتابعهن بالفكر ويتصورهن وهن يخلعن ثيابهن قبل النوم . غيـر ان ما جمد عينيه وبسمته ، انما كان السرير ، هذا السرير الواسع المغطى بالقطيف اللماع . وخيل اليه ان ليس له الا ان يرتمي فوقه لينسى حياته الشقية ، ولينسى جوعه الجارف ، ولينسى وهنه اللامحدود . وفاجاته الانسة بلانش وهو يمر باصابعه على الغطاء ، فأخذ يرتعش ، وقال لها موضحـا :

ـ لقد مضى علي وقت طويل لم انم فيه على سرير ..

فدفعته برفق خارج القاعة وقالت له بشيء من الجفاف :

ـ تعال فتناول عشاءك ، انه جاهز .

وقادته الى المطبخ حيث وضع على الطاولة صحفتان ، فلجسا متقابلين

(٢)

ماكادت الشمس تطلع ،حتى كان دريس يشرد في حدائق اللكسمبورغ.

وسمع صوتا يناديه ، وحين التفت اليه رأى رجلا ينظر الى وجهـــه وثيابه وحذائه ، فخاف منه ، ولكن الرجل طلب منه ان يطمئن واخبـره انه لايريد الا الثرثرة معه . ولم يجرؤ دريس على الرفض ، فلبى دعوته الى الجلوس بقربه على احد المقاعد . ولم يلبث ان تأكد من انه لـــم يكن شريرا ، غير انه كان جائعا . وتردد دريس طويلا قبل ان يخبـــره انه يحمل خمسمئة فرنك « وبوسعنا ان نبحث عن شيء ناكله » وكـان يحتفظ بهذا المبلغ للايام السوداء ، غير انه لم يكن يعلم ان هذه « الايام السوداء » ستأتي سريعة الى هذا الحد . وندم انه عجل في عـــرض هذه الدراهم التي رفض وقتا طويلا ان يقبلها من الانسة بلانش ، تلـك التي تناول معها مساء الامس عشاء لذيذا ، فقادته بعد ذلك الى الباب من غير ان يجرؤ على ان يعترف لها بانه لم يكن يعرف اين ينام ، ولا ان يلتمس ركنا من البيت يقضي فيه ليلته . وفي اسفل السلم طلبت اليـه ان يعود لزيارتها ودست في يده الورقة المالية . فشكرها محمر الوجه .

ووعدها الا يعود لزيارتها الا حين يتمكن من تسديد دينه لها . انه لـــم يكن يطلب الاحسان ، فقد كان قادرا على ان يكسب عيشه ..

ومد الورقة المالية الى « جول » فتناولها ودعاه الى مرافقته ، فتبعه وهو يخشى ان يفر بماله . وكان يأمل ان يتناول لقمة يسد بها جوعه ، ولكن جول افهمه بطريقة حاسمة انه يفضل شرب الخمر ، فاحس دريس بهزيمته وضعفه واستسلامه . وحين دلفا الى احدى الحانات ، طلـب جول خمرا ، بينما طلب هو قهوة بالكريم املا ان يعطيه صاحب الحانـة بضع قطع من السكر . وجرى الحديث بينهم ، فأخبره دريس انـه لايملك عملا ، فاذا بجول يتطوع ليدله على شخص يدعى السيد ارمـان يستطيع ان يجد له عملا مقابل خمسة الاف فرنك ... فاصيب دريـس بالخيبة وهو يتساءل من اين له ان يجد هذا المبلغ ؟ وفيما هو يفكـر بذلك ، عاد صاحب الحانة بفنجان قهوة مع الكريم . فرأى دريس انـه لم يكن على الصحن الا قطعة سكر واحدة ...

(٣)

بعد تردد طويل ، توجه دريس الى منزل اسرة جاك في شارع سانت جيمس ، وكان صديقه قد اعطاه عنوانه ورجاه ان يزور اسرته .

وكان دريس وجاك قد تعارفا صبيين في مدرسة منصوره ، وفـــي اليوم الاول اقترب جاك منه وتمتم : « ان اهلك فقراء جدا ، اليـــس كذلك ؟ » وكان الاخرون يشيرون الى اسماله ويضحكون. وما لبث الفتى الفرنسي ان عبر له عن رغبته في زيارة المشتى الذي كانت اسرة دريس

نعيش فيه ، وكان ان عمقت صداقتهما بعد هذه الزيارة ، وكان جاك يصحب دريس ، بعد انتهاء الدروس مساء كل يوم ، الى بيته ، وكان يساعده احيانا في اعمال الحقل . وقد استمر جاك في زيارة دريس بعد تركه المدرسة ، على اثر وفاة والده ، وكان يصحح له الاخطاء التي يرتكبها وهو يتحدث بالفرنسية . وعلى مر الايام انشغل كل منهما بعمله ، فقل لقاؤهما ولكن صداقتهما لم تضعف قط .

وحين عادت اسرة جاك الى فرنسا ، تركت ابنها البالغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما ، ينهي تدربه في احد المصارف بالجزائر .

وكتب دريس لصديقه ، الذي كان انذاك في سيدي بلعباس يبلغه انه ينوي السفر الى فرنسا سعيا وراء الرزق ، فاعطاه جاك عنوان اسرته والح عليه بان يزورها . وعهد دريس بالبيت والحقل لاخيه احمد ، ولم يتمكن من رؤية جاك قبل سفره .

وهاهو الان امام هذا المنزل الرائع ، اتراهم يقبلون زيارته ام يطردونه حين يرونه بهذا اللباس الزري ؟ وكان يهم بالعودة حين وقع بصره على قدميه : اترى جول لم يسخر به حين قبل ان يعيره حذاءه ، هذا الذي هو واسع جدا على قدميه ؟ وقال في نفسه :

« لااود ان اكون قد استعمرتهما منه بلا مقابل ! » فقد وعده بان يقاسمه الهدية التي قد يتلقاها من اسرة صديقه .

واستقبله والد جاك ببسمة مرحبة وهو يأمل ان يعرف منه بعض انباء ولده ، ولكن دريس صارحه بانه قادم ليستفسر هو عن حال جاك بعد هذه الغيبة . ورحبت به الام الانيقة وذكرت له ان ابنها قد كتب لهم عن زيارته المنتظرة .

وكان الشاب الجزائري قلقا في جلسته تلك ، وسط تلك القاعة الجميلة النظيفة . وتحدث الجميع فترة عن الغائب ، ثم قال دريس للاب : « ارجو ان تبلغه ، حين تكتب له، اني اود ان اعود الى بلاد ي » فساله الاب : « الم تجد العمل المناسب ؟ » والتفتت اليه ام جاك تنتظر جوابه ، فاخذ دريس يفكر بأمه ، تلك التي كانت تبكي وتصرخ كثيرا وتحمل الاحجار والرمل والحبوب والتي كانت يداها قد قستا من فرط العمل .... واخذته رغبة مفاجئة بان يصيح : « انني وحدي ، لم اجد عملا ، ولم يبق معي مال ، ولا سقف يؤويني ، ولا اجد تذكرة للعودة الى بلادي .. وان في قدمي حذاء لايخصني ... ولم اعد اعرف ماينبغي ان افعل ..»

لاشك في انهما سيفهمانه اذا قال ذلك ، فيبدو انهما على استعداد لمساعدته ، ولكن جاك سيعرف ذلك عاجلا او اجلا . ولا يريد دريس ان يفترض صديقه الوحيد انه انما زار اسرته ليستجدي ...

ورفع عينيه واجاب بصوت هادىء : « ليست هذه هي القضية . كل مافي الامر اني اردت ان اعرف انباء جاك . »

وانحنت ام جاك تقول له : « اذا لم تتيسر امورك او لم يعجبك عملك فبوسعك ان تعتمد علينا . انك صديق ابننا ونحن حريصون على مساعدتك يجب ان تعدني بان ترجع ولا تتردد في طلب المساعدة .

ورفع جبينه باعتزاز ورفض قائلا : الامور حسنة .. .حسنة ... وارجو ان تبلغوا جاك ذلك . انا لست بحاجة لشيء . اردت فقط ان ازوركم .

وران صمت حزين كان يشف عن شك الوالدين بان دريس صادق في كلامه . ومضت لحظات ، فنهض دريس واستأذن بالانصراف .

وبعد ان صافحه الاب بود ، اغلق الباب خلفه ، ثم انحنى على زوجته فقبلها ، وقالت هي له :

ـ انه يحسن التحدث بالفرنسية !

فاجابها ـ : تعرفين انهم ، هناك ، قد بنوا لهم مدارس رائعة !

(٤)

كان دريس ، يوم الاحد ذاك ، يسير وسط جمع حاشد متجه الى الكنيسة ، والثلج يكسو الطرق والاشجار فيشعر الشاب الجزائري انه ليس يوما كسائر الايام .

وبالرغم مما اتخذ من احتياطات ، فقد تمكن الثلج من النفاذ الى قدميه عبر الحذاء المطاط . وفكر دريس بان جو الكنيسة سيكون ادفأ ، وان بوسعه اذا دخلها ان يجفف ثوبه وقدميه . وتذكر اليوم الذي ادخله فيه جاك الى كنيسة منصورة ، بالخفية عن ابيه الذي كان يعتبر ذلك تجديفا ولا شك . ومع ذلك ، فان والددريس لم يكن يؤمن بشيء : كان قد فقد ايمانه مع تساقط المصائب عليه ، ولم يكن يامل في آخر ايامه الا بقطعة الارض الصغيرة التي كان يملكها ، بالرغم من انها كانت تصر على الا تنتج الا الحجارة والصخور . وكان يقول ان « الحكومة » كانت تستخدم الائمة والمفتين كجواسيس لها ...

وكان جاك قد حدث دريس ، بناء على طلبه ، عن دينه ، فكشف له عن اله طيب جميل احس دريس بانه يملأ فراغ قلبه . وها هو ذا الان في احدى كنائسهم .. وتمنى لو كان معه « سجادة صلاة » اذن لوقف عليها ينظر الى الثلج وهو يذوب على حذائه .. ان بقعة

دار المعارف بلبنان

تقدم للقارئ العربي

عروة لبيز

القصة التي تفوق رواية (مونت كريستو) في طرافتها وروعتها وتعاقب حوادثها.

• في كل سطر من هذه الروايات مفاجئات
• الذين شاهدوها واعجبوا بها على الشاشة يعيدون بالملايين

ثمن النسخة ١٥٠ قرشا

من الماء بدات تتشكل تحت قدميه ، وان الخوف بدا يستولي عليه ، فقال في نفسه « اذا لطخت كنيستهم فسيطردونني منها ! » ولكن نفسه انبسطت اذ راى الكنيسة تفص بالناس ، ولمح كرسيا فارغا فسارع الى احتلاله . والتفت الى المذبح ، فتاثر لرؤية المسيح مصلوبا فوقه . وتمنى لو كانت امه الى جانبه : اذن لاراها كل ما كان يثير اعجابه هنا . وردد اسم المسيح الذي كان صديقه جاك يدعوه « يسوع » والذي اصبح يحبه كما كان صديقه يحبه ، ولكنه فقده حين ابتعد عن جاك الذي كان يؤمن به عميق الايمان ..

ولقد طلب دريس معونة المسيح ليجد عملا وليسد جوعه .. ولكن يسوع هذا الذي قال انه سيطعم الجائعين وعصافير الحقول الصغيرة لم يهتم حتى بان يستطيع دريس ان يضع يده على كسرة الخبز التي كان يمكن ان تملأ جوفه .. على انه الان يعود فيجده هذا الصباح ، وانه يرجع اليه كما كان قد تركه .

واخذ دريس يتساءل ، وهو يتامل من كانوا بجواره ، هل كانوا هم ايضا يحسون بالمسيح قريبا وحيا ؟ مهما يكن من امر ، فانه هو نفسه لا يرى فيهم بعد اولئك الذين كان يخشاهم ويتفادى انظارهم ، وانما اصبح يشعر انه قد اصبح شبيههم وانه ، وهو يشاطرهم احاسيسهم للمرة الاولى منذ قدم فرنسا ، قد كف عن ان يكون وحيدا منعزلا . وراح يستمع الى الكاهن يلقي عظته وهو يبسط ذراعيه قائلا :

ـ يا اخوتي ! كيف يستطيع من لا يحب اخاه الذي يراه ان يحب الرب الذي لا يراه ؟

وخيل لدريس ذات لحظة ان عيني الكاهن تستقران عليه ، وارتعش اذ فكر بانهم قد يجدون دخوله الى هذا امرا عجيبا ما دام لا يحب اخوته .. لقد كان يشعر بالكراهية للكثيرين : لجميع اولئك الذين كانوا يعودون في المساء الى بيوتهم اذ يشعر بانه يكاد يسقط من النعاس ، ولجمع اولئك الذين كانوا يضعون المعاطف على ظهورهم ، والاحذية في اقدامهم ، والنساء الى جانبهم ...

واخذ يتامل المسيح على صليبه : انه هو ايضا لم ياخذ شيئا ، لم يعطه احد شيئا ، ومع ذلك فقد احب حتى الموت .

واستمر الكاهن في موعظته : ـ اذا كنتم تحبون جاركم حقا فانكم تبحثون عنه حيث يختبىء ، من غير ان تنتظروا ان يجيئكم ليريكم جروحه فيثير فيكم شفقة مصطنعة ما تلبثون طويلا حتى تنسوها بمجرد ان ينسدل الستار على مصائبه ..

وحاول دريس لدى سماعه ذلك ان يخفي قدميه شبه العاريتين واسماله البالية .. ان الكاهن يقصده للمرة الثانية ، وانه ليستشعر من ذلك الخجل . واجال نظره حوله فعجب ان يرى الوجوه جامدة ساكنة ، كان هذا الكلام الذي نفذ الى اعماقه لم يسمعه واحد منهم ، او كانه موجه الى سواهم . وفكر في ان الانسة بلانش كانت تشعر بالفخر والاعتزاز لو انها كانت هنا .. ولكن الانسة بلانش كانت مجنونة ! هذا كل ما في الامر !

وانبعثت الموسيقى فاخذ الجميع يصلون . وراح هو يقلدهم دون ان يعي ، وركع مثلهم ، فشعر بان الموسيقى تتسلل الى اعماقه فتذيب فيها كل مرارة او قسوة ، ولا تخلف لديه الا احساسا بالراحة والرضى . واستخفت به فرحة لم يدرك كنهها ، فجعل يبكي بصمت وحنان ، يبكي على نفسه وعلى امه ، وعلى بلاده ، وعلى جميع الذين لا يحب بعضهم بعضا كما اوصاهم المسيح . وبينما كانت دموعه تنهمر ، كانت سعادة رائعة تغمره ، اذ لم يعد يشعر وسط هؤلاء الراكعين انه « غريب » ، وانما كان يحس انه كبير حي ، يحبه الاله اكثر مما يحبه الاخرون ، كما لو ان بشرته كانت بيضاء ، وشعره ناعما اشقر ، كما لو انه لم يكن « واحدا آخر » ...

(٥)

قال له الرجل ان مبيته في ذلك الخان يكلفه ثمانمئة فرنك في الشهر ، وكان من شدة الارهاق والنعاس بحيث لم يجد اية شجاعة للنقاش ، بله المساومة . ودله الرجل على طريق القبو وهو يقول ان عنده الان اثني عشر رجلا ، وان من حسن حظه انه مايزال هناك فراش من القش يستطيع ان ينام فوقه . ولكنه ابلغه انه لايحق له ان ينام اكثر من ثماني ساعات ، وحين سأله عما اذا كان يجلب معه غطاء ، اجاب بالنفي ولكنه اضاف بان لاحاجة به لغطاء .ودلف الى القبو ، فخيل اليه انه ينفصل عن كل ماهو حي ، وجعل يرتعش في الصمت المثلج وهو يحسب ان هذه صورة الجحيم : سلم يهبط هبوطا سرمديا ومن العبث ان يحاول المرء ارتقاءه من جديد ... وانبعثت في انفه روائح عفن ونتونة ، فعلم انه اصبح في القبو الذي كان يضم رجالا لايتحركون ، وجرذانا تصر باسنانها .. وتلمس طريقه الى الفراش الوحيد الذي بقي فارغا ، وحاذر ان يدوس قدم احد من النائمين ، حتى اذا بلغ فراشه ، ارتمى عليه وهو يتنهد ، وجعل ينتظر ان ياخذه النوم.

دار المعارف بلبنان

تقدم للقارئ العربي تاريخ الشعر العراقي المعاصر
تطوره واتجاهاته الفنية واعلامه البارزين في كتاب

الشعر والشعراء في العراق

العراق في ثورته وانتفاضاته - نهوض الشعر الحر

دراسة ومختارات
بقلم
أحمد أبو سعد

ثمن النسخة
٦٠٠ ق.ل أو ما يعادلها

ولكنه مالبث ان احس بلسعة البرد ، وعاوده ذلك السعال ، فجهد في ان يكظمه حتى لايوقظ الاخرين . وصمم على ان ينام مهما كلفه الامر ؟ غير انه اخذ يتخيل الجرذان تترصده بعيونها الصغيرة تناهب النحت وجهه .. واخفى وجهه بذراعيه ، فشم رائحة نتنة من فراشه ، رائحة غيط وعرق .. ولم يدر اكانت هذه الرائحة تنبعث من الفراش حقا ام من جسده هو بالذات ، فقد كان يعد نفسه منذ ايام طويلة ان يغتسل ولكنه لايجد فرصة لذلك . وقال في نفسه : « حين كنت صغيرا ، كانت امي تغسلني بيديها . » وشق عليه ان يمسك دموعه وهو يجهد في تذكر يدي امه ، فلا يتذكرهما .

ولا يدري لماذا استولى عليه الخوف من جميع هؤلاء الذين كانوا نائمين حوله . وعاد يشعر بالبرد ، فرأى في ركن من القبو ركاما من الجرائد القديمة ، وخشى ان يكون زملاؤه قد استعملوها لحاجتهم ، ولكنه اطمان حين لمسها بيده ، فتناولها والتف بها كما تاتى له .

ومضت فترة ، فشعر بان النوم يسخر منه هو الاخر . وكان الباب يفتح بين لحظة واخرى ، فيخرج رجل ويدخل اخر فيرتمي على الفراش . وكان بعض النائمين يهذون ويهددون ويرسلون قبضاتهم في الهواء ويتقلبون بلا انقطاع . وبعد قليل رأى دريس عربيين يدخلان فيحتلان فراشين ولكنهما لاينامان بل يجلسان ويأخذان في التطلع فوق ، الى الطريق العام ، عبر نافذة صغيرة في اعلى الجدار . وادرك دريس سريعا ان النساء وحدهن كن يجلبن انظارهما ، فيحاولان ان ينظرا ماتحت التنانير ، وكان وضعهما يمكنهما من ذلك ، ولم يكن يبدو انهما يتخذان ذلك لعبة وتسلية ، بل كانا متشنجي الاعصاب ، متوتري الاطراف . ولقد استشعر دريس من ذلك اشمئزازا كبيرا ، والتفت الى الجدار بحيث لايراهما بعد ولكنه مالبث ان احس في نفسه رغبة في ان يتطلع هو نفسه عبر النافذة . وجعل يفكر في الحب . وقال في نفسه :

« انني اعشق جميع الفتيات ... ليعطوني اية فتاة ، جميلة كانت او قبيحة ، شابة او مسنة ... ان ذلك لايهمني اذا نجحت تلك الفتاة في ان تنسيني من انا لبضع دقائق ! »

وألهبت كلمة « فتاة » النابضة بالحرارة رغبته وشهوته . لو انه كان جميلا لتعرف الى امرأة تملك غرفة ، ولسكن عندها .. ولم يكن دريس ليدري ايهما اشد رغبة به : السرير ام المراة ؟

وتذكر تلك التي كانوا يروون قصتها في منصورة والتي سافرت الى باريس وهي في الخامسة عشرة ، فلم تلبث طويلا حتى افتنت ببيع نفسها لمواطنين كانوا قد اغتنوا بدورهم .

وحلم بها ، واوشك ان يمد لها يده وان يحتفظ بها لنفسه . غير ان هذا الحلم مالبث ان آله ، اذ ان البغي تلبست وجه اخته الصغيرة التي تركها في القرية والتي كان يحبها حبا عظيما .

وكسائر الرجال النائمين حوله ، قذف دريس بقبضته في الهواء وارسل انينا متقطعا في النوم .

وحين افاق ، صعدت الى شفتيه صلاة :

« ابتهل اليك ياربي بالا تاتي اختي الصغيرة الى فرنسا ابدا ! »

(٦)

كان دريس يتنقل بين ارصفة المقاهي وهو يعرض على الناس بضاعته من الفستق السوداني الذي علق سلته في ذراعه ، وكان عليه ان يبيع منه بعض الاكياس ، والا فان صديقه حسن الذي عهد اليه في سلته ريثما يتناول غداءه لن يكون راضيا ، ولن يمكنه بعد ذلك ان يساعده في الملمات . اما اذا باع بعض الاكياس ، فسيربح مئة فرنك تمكنه من ان يسد رمقه .

وكان دريس خارجا من احد المقاهي ، حين حسب انه يرى صديقه جاك في احدى سيارات الاوتوبيس المسرعة . وقد شاء ان يعدو خلف السيارة ، ولكن سلته سقطت على الارض ، ناثرة محتواها في كل اتجاه . وانفجر ضاحكا فجاة ، وقد بدا له ان حياة جديدة تبدا ، وان الحياة القديمة بدات تولي .

واتجه دريس الى بيت جاك ، وانشا يترقب دخوله او خروجه من منزله ... جاك ، صديق الطفولة الذي كان يكور قبضته للدفاع عنه حين كان احدهم يؤذيه او يتهدده ، وكان لايقبل المشاركة في لعبة لايشارك فيها دريس ، وكان يساعده في قراءة الفرنسية وكتابتها .. جاك الذي بكى خفية حين تغيب رفيقه الجزائري عن المدرسة ذات يوم ..

وتسرب نوع من القلق الى راس دريس : لماذا عاد جاك ، وهو الذي كان يدعي انه يحب الجزائر اكثر من أي بلد في العالم ويود ان يبقى فيها الى الابد ؟ اتراه حين عاد الى هذا الحي الانيق من باريس مايزال يحتفظ بالبساطة التي كان يبدو عليها في منصورة ؟

وفيما هو يتساءل كذلك ، برزت ام جاك ، فامتلأ رعبا لرؤيتها واولاها ظهره حتى لاتعرفه . وقال في نفسه : لو رأتني لظنت اني عدت اطلب مالا ، ولابلغت جاك ذلك ومنعته من مقابلتي !

وحين ظهر جاك اخيرا ، ناداه دريس باعلى صوته ، كما لو انهما يلتقيان من جديد في منصورة . وتوقف الشاب الانيق وامر يدا شاردة

على جبينه . وكادت سيارة تسحق دريس حين اجتاز الطريق واذ بلغ مكان صديقه ، وقف خجلا امامه . ولم يبد جاك اية حركة ، فتمتم دريس اسمه مرة ، كانما يبتهل اليه بصمت ان يقطع فترة هذا الانتظار ويعرفه. وكانت الفرحة تفيض منه وتكاد تخنقه حين امسك جاك بذراعه اخيرا ، وكان الالم يطبع وجهه ، كانما لم يكن سعيدا بلقائه مرة اخرى ، وكان يبتسم بسمة مقتسرة وهو يتفحص ثيابه ويقف نظره عند حذائه المطاط فساله وهو يضحك للمرة الاولى :

« اليس هذا هو الحذاء الذي اشتريته في منصورة وكنا معا ؟ »

فاجابه دريس « تريد ان تقول ان الحذاء قد تغير كثيرا ، اليس كذلك ؟ » ومن غير ان ينتظر جوابه ، استطرد يقول : « مهما يكن، فاني سعيد بان اراك هنا . سوف تساعدني على ان اعود الى بلدي »

فقطب جاك حاجبيه وعاد يقول ضاحكا : « اراك على عجل ! فماذا هناك ؟ الست سعيدا في فرنسا ؟ في « بلدك » ؟

واستعاد رصانته فجاة ، ثم امر ذراعيه تحت ذراع دريس وقال له : « هيا ، تعال نتنزه ، كما كنا نفعل هناك ... »

ومضيا يسيران بلا غاية . ومضت لحظات من الصمت شعرا فيها بان السنوات التي قضياها معا تبتعد عنهما ، هذه السنوات التي لن يلتقيا بها بعد ابدا ، واحسا بانه لم يبق بينهما شيء يربط احدهما بالاخر . ولكي يبدا معا من جديد ، ويحاولا ان يملاءا هذه الفجوة التي كانت تفصل بينهما ، اخذا يتحدثان عن الطقس وعن البرد الذي نسيه كلاهما .

(٧)

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم »

القرآن

دخلا حانة صغيرة خالية واتجها الى طاولة في جوف القاعة . وطلب جاك من دريس ان يتكلم فاجاب « بل تكلم انت ، فانا ليس عندي شيء.. ليس من عمل ، فليس من مال اذن ، لاشيء ... »

وانتفض جاك . لقد كان هو ايضا شقيا منذ غادر الجزائر :

ـ اعرف ذلك يادريس . اعرف انكم الاف من العاطلين تنامون تحت الجسور وتتضورون جوعا . لم اكن بحاجة الى وقت طويل لمعرفة ذلك .

وساله دريس بابتسامة صفراء :

ـ هل سعيت الى لقائي ؟

ـ نعم . لقد اخبرني اهلي بزيارتك وبدا لي انهم منزعجون ، فماذا عملت لهم ؟ ان بوسعي ان اتخيل انه لم يكن عليك الا ان تقف في وسط صالونهم الجميل حتى يشعروا بانهم مذنبون . ولم يريدوا تصديقي حين حدثتهم عن بؤسك .. ولكن ليس عليهم الا ان يعبروا هذه الاحياء التي اعرفها الان .. فاذا لم يجرؤوا على فتح عيونهم كبيرة واسعة ، فليفيقوها وليخفوا نظراتهم ! سيكونون مضطرين آنذاك الى معرفة بؤسكم . ولكن الحقيقة انهم يتفادون التردد الى هذه الاحياء ، يتجنبون سؤال الاطفال الذين يهربون من حول سياراتهم حين يدخلون بها هذه الجهات . وحين يقال لهم انكم جموع تتعلمون احتقارهم يضحكون ويتهمونني باني قليل الخبرة لحداثة سني ، ويتخيلون انك ستغير رايك على مر الايام ، حين تربح مالا يكفي لشراء سيارة واقتناء كل ماترغبه . انهم يتصورون انك ستنسى ....

وقاطعه دريس قائلا ـ انني لم احتقرهم بعد ، ولكن يجب ان اعود الى بلدي ياجاك . فساعدني . لقد ادركت اني لن اصل هنا الى شيء.

ـ كنت اجهل ذلك كله يا عزيزي ، والا لمنعتك من المجيء.

ـ ولكن الذي لاافهمه هو : لماذا عدت انت ؟

ـ لاستطيع اولا ، كما اعتقد ، ان انظر اليك هذا المساء كما افعل الان ، من غير ان اخفي عنك شيئا . فلو بقيت اكثر من ذلك ولو يوما واحدا ، وكنت مضطرا الى قتل احد مواطنيك ، لكان علي ان اهرب حين اراك ، فاني لن اجرؤ على لقائك مرة اخرى .

وصمت لحظة ، وكان دريس ينتظر ان يتم كلامه بتنبه شديد :

ـ ورجعت كذلك بسببي انا : اريد ان استطيع ان انظر الى صورتي في مرآة وانا اقول لنفسي : « ان من تراه هو انت ، ومن انت في الحقيقة ؟ » وحين يطرح الانسان على نفسه هذا السؤال بصورة عامة يفاجا ويخاف . والحق اني لم اعد استطيع ان اجيب على نفسي كما كان في السابق ، وكنت اتفادى ان انظر الى صورتي في مرآة ، وكنت ازداد زهدا في ان احلل ذاتي . كنت اهرب من نفسي ، بكلمة واحدة .

فساله دريس بصوت اصم :

ـ ولكن ماذا حدث ؟ وماذا رايت تماما ؟ لماذا تغيرت هذا التغير ؟

ـ تذكر .. لقد بدا كل شيء في تشرين الثاني ، بالقرب من قسطنطينة ... وكنا آنذاك قد افترقنا ، وكنت انت على وشك السفر دون ان تشعر بشيء . لقد تركت سيدي بلعباس لاتجه الى « بطنا » . وسوف اتذكر دائما ذلك المشهد الذي كان ينتظرني . لقد كان مريعا . لقد ارتكبتم وما تزالون ترتكبون الفظاعات ضد الفرنسيين اصدقائي . انكم تقتلونهم بقسوة مرهفة حتى يخيل للمرء ان ذلك لعبة في نظركم . لقد قتلتم نساء وذبحتم اطفالا .. كما لو ان الحياة البشرية لا قيمة لها.

واستطرد جاك بصوت منخفض :

« ولكننا نحن قد احرقنا قرى برمتها ، وقتلنا من الخلف الوفا من

قريبا جدا يصدر عن « دار الثقافة » :

تاريخ لبنان

للدكتور فيليب حتي

ترجمة الدكتور انيس فريحه
ومراجعة الدكتور نقولا زياده

انه لسفر عظيم فخم وتاريخ صميم ضخم ، مرجع كل بحاثة متعمق وزاد وفير لكل استاذ مدرس . انيق الطباعة والاخراج،مزين بالرسوم الملونة النادرة والخرائط الجغرافية المتقنة . يقع بحوالي ٧٥٠ من القطع الكبير. بادروا الى حجز نسخكم منه واطلبوه من « **دار الثقافة** » ومن جميع الدور الكبرى

عن «دار الثقافة»

صدر المجلد السادس عشر من كتاب **الاغاني** لابي الفرج الاصبهاني . كتاب غني عن التعريف مفخرة المكتبة العربية وانيس المتأدبين وينبوع ثر للادباء.

وقد تم كذلك طبع المجلدين السابع عشر والثامن عشر ودار الثقافة اذ تقدم اليوم هذه الاجزاء تتعهد بانهاء هذه السفر الجليل في بحر هذا العام . وهكذا سيصبح عدد المجلدات كلها ٢٥ مجلدا بما فيه المجلدان للفهارس والاضافات للتراجم المنسية في جميع النسخات المطبوعة سابقا .

باشروا الى حجز نسخكم منه مع العلم ان ثمن النسخة اليوم ٦ ليرات لبنانية وبدل الاشتراك في المجموعة كلها ٢٥ ليرة لبنانية بما فيه اجرة البريد المسجل

مواطنيك في ظهورهم لنروي ثارنا . فماذا تريدني ان افعل وسط هذا الانقلاب كله ، انا الذي احب شعبك حبي لشعبي ؟ لااريد ان اعرف من منهما كان البادىء . فليس هذا هو المهم ، وهذا لايبرر شيئا .. »

ونطق جاك بالعبارة الاخيرة في هدير ، وكان يضغط رأسه بين قبضتيه ضغطا شديدا تبيض منه اظافره ، فكأنما كان يريد ان يسحق بين يديه كل ماكان يثير حنقه وغضبه .

وكان دريس يترصد جاك ، من غير ان تأتيه كلمة واحدة من الاسئلة الكثيرة التي كان يود ان يطرحها عليه . لقد لقي صديقه مرة اخرى ، ولكنه لم يكن يستطيع ان يتحدث اليه بقلب مفتوح كالسابق . كان يستحيل عليه ان يصارحه بهذه السعادة التي كانت تغمره اذ يفكر بان شعبه قد استيقظ اخيرا وبدأ ينفض عنه جموده الطويل . كان يشعر ، وعيناه تلتمعان بالحماسة ، بانه يعيش بكثافة سلسلة طويلة من الايام التي تعوض عن تلك الساعات الضائعة الفارغة ، اللامجدية .

وكان يتمتع بهذه الهنيهات حتى ليكاد يصاب منها بالدوار . سوف يصبح ، ابتداء من هذه اللحظة ، انسانا اخر ، انسانا افضل ...

ـ انهم اذن يقاتلون ؟ ايجرؤون حقا على مهاجمتكم ؟

ـ وكان وجهه يعبر عن الفرحة والاعتزاز . وقال جاك :

ـ اجل ، انهم يتقاتلون ، ولكنهم جميعا على ضلال . فلئن كان بعضهم قد شهروا السلاح لانهم يتعفنون في الشقاء والبؤس ، ولانهم لايريدون ان يروا نساءهم واطفالهم يموتون جوعا ، فان اخرين يقاتلون ليستولوا على السلطة ويحكموا هم انفسهم . وهناك ايضا من لايستطيعون ان يشرحوا لماذا هم يقتلون .. انه لمفر للمرء ان يشعر بانه ينتقم حين لايكون سعيدا ! ويبقى اخيرا اولئك الذين يقتلون بدافع الجهل ، لانهم لا يعرفون الفرنسيين ، ولانهم يريدون ان ينسوا مافعلوه لاجلهم ولا يذكروا الا رجالا اذلوهم واساءوا معاملتهم . والحق اني اخشى الا نكون بمنجى من المأخذ . فنحن لم نذهب لنراهم في اكواخهم ، وظللنا بعيدين عن الاغلبية الكبرى ، عن تلك الجموع التي تحتاج الى خبز ، والتي تموت بالامراض والقذارات . ان بوسع الاطباء ان يشفوهم ، اذا كان هناك ، خارج المدن ، اكثر من عشرة اطباء لمئة الف نسمة .

« وها ان هذه الجموع تنفجر الان حقدا وكراهية .. ان الناس حين يتضورون جوعا لايطلبون الا معرفة المسؤولين . ونحن لم نخفض رؤوسنا بما فيه الكفاية لندخل تلك الاقبية التي لم تكن مضاءة بما فيه الكفاية لنرى ما في داخلها ! »

واضاف جاك كانما يطلب معونة صديقه : « لاادري يادريس من منا على حق . ولهذا تراني قد عدت . فليس في وسع المرء هناك ان يبقى على الحياد ، حين يكون في جيبه مسدس.. وحتى لو اقررنا باننا محقون، فسأشعر باني مجرم اذا اطلقت عليك النار . ان الانسان الذي يقتل انسانا اخر ، بائسا عانى طوال حياته ، فينزع منه هذه الفرصة العظيمة التي تمكنه من ان يعرف قليلا من السعادة فوق ارضه التي رواها بعرقه ، ان هذا الانسان هو على خطأ . »

وصمت جاك لحظة ثم التفت الى دريس يقول له : « اعذرني على ان اطلت الكلام. فالحق انه ليس هناك سواك من استطيع ان قول له ما قلت. وانا لاأشعر اني قادر على ان اناقش جميع اولئك الاشخاص الذين لم يضعوا قدمهم في ارض الجزائر وهم يسمحون مع ذلك ان يتحدثوا في موضوعها ويفرضوا عليك الصمت ...

فقال دريس متأثرا : « ان كل ما تقوله صحيح يا جاك ، وانا سعيد بان القاك ثانية »

فابتسم له جاك بسمة ود وقال : « انا لم اكن اود لقاءك كثيرا . اما وانك الان هنا ، الى قربي اليست مكافأة لي ان اغرق عيني في عينيك ، بلا خوف ولا افكار مسبقة ؟ لقد غادرت ذلك البلد الذي كنت احبه فارغ اليدين ، وتركت فيه كل ماكان يهمني . اما هنا ، فعلي ان ابدأ كل شيء من جديد . ولكنك تظل دائما صديقي . وانا على حق بان اقول ذلك لاني قررت ، يوم اعطوني سلاحا وسمحوا لي بان استعمله ، ان اعود في اول طائرة . »

ولم تصل هذه الكلمات الاخيرة الى سمع دريس الا من خلال ضباب ، فقد كان يتابع فكرة في ذهنه عبر عنها بقوله :

ـ اذا كان اخوتي يقاتلون ، فعلي ان انضم اليهم .

وقفز جاك لدى سماعه كلمة « اخوة » وفتح فمه ، ولكن لم يقل شيئا . وساله دريس عما اذا كان قد زار امه قبل مجيئه الى فرنسا فاجاب جاك بانه ألم بمنصورة ورأى امه فوجدها تعلم كل مايحدث وتشعر بالسعادة ، وسألها اذا كانت تود ان ترسل لدريس شيئا فاجابت بنها لو كانت تحسن الكتابة لكتبت له مجلدا ضخما، ولكنها تضع كل املها في العام القادم :

ـ لقد كانت تتصور انهم سيعطونها ارضا بعد اشهر من الصراع . وقد بدت لي مسرورة وغير مضطربة للدم الذي يجري ، وتبدو لها المذبحة الحالية طبيعية .

وقال دريس : ـ لقد تألمت كثيرا ، ولم يبق لها ماتفقده . تصور انها اضطرت الى اخراجي من المدرسة حين كانتشديدة الفخر بما كنت احرزه من تقدم . فما كان جدوى ذلك ، اخر الامر ؟ كان لدي هناك من العمل

صدر حديثا عن دار المكشوف

المحيـــط

في ادب البكالوريـا

الجزء الاول

لجبران مسعود

وهو يتبسط في منهج الادب العربي في البكالوريا اللبنانية ، فيتناول المواد التي تدرس في الصف الثانوي الخامس ، باسلوب علمي جديد معزز بالدراسات التمهيدية ، والتحليل الوافي ، والمقارنات الواضحة ، والنصوص المبوبة المشروحة

تحت الطبع : الجزء الثاني

وفيه منهج الصف الثانوي السادس (البكالوريا)

اكثر مما اجد هنا ؟

واستولت على جاك سورة غضب جديدة فصاح بصديقه :

ـ هذا صحيح ! فما الذي تفعله في هذه البلاد ؟ كل يوم يصل عدد اخر من اقربائك او رفاقك ! ومع ذلك ، فانكم تشغلون جميع الاعمال القذرة هنا .. فلماذا اتيتم بهذه الكثرة الى فرنسا ؟ مايفعل هذه الجيش اللجب من الرؤوس الجاهلة والايدي الفارغة ؟ اي شيء تاملون صنعه ؟ ان مجرد رؤية اشخاصكم ترعب النساء وتوحي للاخرين الحذر . فلماذا ؟ ساجيبك لماذا ! لقد قدموا لكم وعودا كثيرة ثم وضعوها على الرف .. فكم ارسلت الى امك منذ ذهابك ؟ لقد كرروا ورددوا انكم فرنسيون . ولقد شعرتم ان باريس لاتخصكم كما تخص الاخرين . الم يبرهن لكم سكانها على انكم مختلفون عنهم ، وانكم تنتمون الى وطن اخر.. ان شعورك بانك فرنسي يشبه الى حد شعور ابي بانه عربي حين يدخل مشتى من مشاتيكم . فبأي حق نجذبكم الينا ، بينما نحتفظ بقبضاتنا مكورة ولا نريد ان نضع شيئا في ايديكم ؟

وكان احساس دريس يزداد عمقا بان صديقه يعبر عن افكاره هو بالذات ، وانه يثور كثورته ، ويحس بمثل اشمئزازه . وما لبث بريق الفخر ان حل في عيني جاك محل بريق الغضب حين قال : « قبل سفري كنت أودع بلادك ممتلىء القلب حسرة لاني كنت انفي نفسي وافقد كنزا ثمينا . ولقد اتت امك تودعني فعانقتني وقبلتني وكانت تبكي . وانت تعرف انها كانت تحبني ، وهي مع ذلك لم تطلب مني ان ابقى ، بل كانت تقر عزمي . وكانت اخر كلمة لفظتها اسمك ؟ ولكني كنت مقصودا بهذه الكلمة . كانت كانها تناديني « دريس » لاكون انا ايضا ابنها ، كما لو ان ذهابي كان يعني فينظرها ماعناه ذهابك ، وكان يخلف عندها الاسى نفسه . »

ـ حين اعود الى وطني ، ساتذكرك وانا اتحدث عن الفرنسيين ، وساصف لقومي موقفك ورايك . حتى اذا انتهى كل شيء فسوف تعود وستكون امي سعيدة .

ـ حين تعود الى وطنك ، لن تسمع عن فرنسا الا حديث سوء ... ومهما يكن ، فلا حاجة اليك في فرنسا ، واما في بلدك ، فانت ضروري . ان عليك ان تنضم اليهم وتجمع صوتك الى اصواتهم لتطلبوا انقاذ الجزائر مما هي فيه وتنظيف جميع زواياها . ان عليك ان تصبح قائدا ، انت الذي تعرف اكثر مما يعرف الاخرون وتتحدث خيرا مما يتحدثون . اما نحن ، فاننا للاسف نتصرف بحيث لايبقى بعد بضع سنوات اي اسم فرنسي مسجلا على احد شوارعكم ، بينما كان في الامكان ان تحمل احدى اللوحات اسم « جادة التفاهم الفرنسي الجزائري . »

وبعد صمت قصير ساله دريس :

ـ الم يقل لك اخي شيئا ؟

فلم يجب جاك ، وانما خفض عينيه .

ـ ماذا حدث له ؟ قل لي بصراحة . فانه لايحق لك ان تخفي عني شيئا . فقال جاك بصوت متالم :

ـ لقد اظهر اخوك شجاعة عظيمة ، ويجب الا تكون انت اقل شجاعة .

ثم اضاف : ـ ابتهل اليك الا تبكي يادريس ..

وكان الفتى الجزائري قد احاط وجهه بيديه واغمض عينيه .

ـ لقد حملوه الى امك ، وعلى وجهه غطاء ، ولكنها سرعان مافهمت . ويبدو انها لم تبك وقالت انه بكل تاكيد اسعد في الجنة .

واستولى الضيق والكراهية على كيان دريس : ـ لماذا قتل ؟

ـ كان يحمل اسلحة لم يرد ان يسلمها ، وقد قتل بينما كان يحاول الفرار .

وقال دريس ببسمة صفراء : ـ قتل في ظهره ، ليس كذلك ؟

فاجاب جاك وقد تملكته ثورة مفاجئة ـ اجل ، في ظهره ... ولكن ماذا تظن ؟ لقد قتل هو ايضا كثيرين في ظهورهم !

وحدق دريس فيه : ماذا ، ايمكن لجاك ان يتحدث بهذه اللهجة ؟

وتبادلا النظرات ، وادرك دريس انه كان ثمة حقد وغضب . ولم يرد ان يقوم هذا بينهما ، فاعتذر وقال ان من السخف ان يتنازعا ، ثم عاد يخفي وجهه بين ذراعيه . كم هو آسف انه لم يكن الى جانب اخيه ليدافع عنه ، هذا الاخ الذي كان اشجع منه واجدر بالحياة ! انه لم يخف قط ان يقاتل ولا ان يجوع. فكم كان اعدل واجدى لوطنهما انيموت هو ، دريس ...

(٨)

دخل دريس محل « اندريه » ليبتاع زوجا من الاحذية وهو يشعر بان يديه ثقيلتان .. انه منذ اللحظة يرى على راحتيه عبء ساعات الجهد التي ستسمح له يوما بعد يوم ان يسدد لجاك دينه . ولكن لماذا تراه قرر ان يبتاع حذاء ، بينما كان المفروض ان يرصد هذا المبلغ للسيد « ارمان » الذي ارشدوه اليه والذي يتوسط لدى الشركات لايجاد الاعمال للعاطلين ؟ وفيما هو كذلك ، اقبلت العاملة تسأله عن قياس قدمه ففوجيء بذلك لانه لم يعرف هذا القياس من قبل ، وكان معتادا في منصورة ان يجرب عدة ازواج من الاحذية حتى يجد ما يناسبه ... ثم تذكر ان عليه ان يعرض اصابعه المريضة الموحلة ، وان هذه العاملة الانيقة

جغرافية العالم

سلسلة حديثة مصورة في الجغرافية

لمرحلة التعليم الثانوي

تقع هذه السلسلة في اربعة اجزاء ، وهي معدة للتدريس في الصفوف الثانوية في لبنان وسائر العالم العربي .

وهذا الكتاب باجزائه الاربعة مأخوذ من كتاب «العالم» الذي وضعه الجغرافي الانكليزي الشهير ددلي استامب. وليس بين اساتذة الجغرافية المعاصرين من لم يتتلمذ على مؤلفاته و لم يفد من تحقيقاته الجغرافية. وهذه هي المرة الاولى التي ينقل فيها كتابه « العالم » الى العربية ، بعد ان اجريت فيه تعديلات مختلفة . وقد تولى المؤلف بنفسه اضافة بعض الفصول بناء على طلب **لجنة التاليف المدرسي** ، ليأتي الكتاب متلائما مع المنهاج اللبناني الرسمي .

الناشر : **لجنة التاليف المدرسي** ـ بيروت

ستأخذ قدميه بيديها النظيفتين الناصعتين .. وانتهز فرصة ذهابهـا لحظة ، فنهض واتجه ركضا نحو الباب ، مثيرا استغراب الناس حوله ، وظل يعدو حتى تأكد من ان الانظار قد كفت عنه فتوقف وهو يشعـر بـذل كبيـر ..

واستمر يمشي باتجاه المقهى الذي سيلقى فيه السيد ارمان . وتاثر لمرأى عاشقين يتبادلان القبل في ركن من الشارع . كم مضى عليـه من الوقت دون ان يقبل شفتي امرأة ؟ ان جميع الناس تقريبا يقبلـون واحدا على الاقل في اليوم ، وهذه الحركة تصل الناس فيما بينهم .

وكانت اخر مرة عانق فيها شخصا ، حين ضم اليه امه ضمة عاجلة فتشبثت به وهي تمد له خدها المتجعد ... ليته كان يعلم ... ومنـذ ذلك الحين نسي اثر القبلات في الشفاه . ان شفتيه جافتان في هـذه الساعة .. واخرج يده من جيبه وامرها على فمه ، وراح يحلم بالفتيات اللواتي قبلهن ، اثنتان او ثلاث فقط . اما في منصورة ، فلم يكن يملك الوقت لذلك .

وقال في نفسه وهو يضحك ـ لو انهن كن في باريس ، لكان بوسعي ان اهتم بهن !

وما لبث ان طرد هذه الافكار من رأسه . انه اذا توقف عندها اطول من ذلك ، فسيصبح بعد حين شقيا . سيزعجه جسده الذي يستحيـل ارضـاؤه !.

(٩)

التقى دريس في المقهى زهاء عشرة من الافريقيين الشماليين كانـوا جميعا ينتظرون السيد ارمان ويمنون انفسهم بعمل يستطيعون ان يمسكوا به اودهم .. ولكن السيد ارمان عاد يقلب شفتيه ويقول انه لم يوفـق في ايجاد اي عمل لاحدهم حتى الان ، ولكنه يأمل ان يوفق في الاسبوع التالي ، فهو يتردد على مختلف المصانع لتلك الغاية . واخذ الجزائريون ينفضون واحدا بعد واحد ، فيشعر دريس بالاسى ويتمنى لو يناديـهم ويبلغهم ان هناك اعمالا لهم ، لا لشيء الا ليرى وجوههم الكئيبة الميتة تشرق بالحياة والنور . وفكر في ان اي واحد منهم لا يملك خمسة الاف فرنك مثله .. وكان لا يزال في المقهى شاب طويل كان يبدو انه ذو مقام بينهم ، وكان يدعى « عبد » ، وقد انس دريس به وشعر له بالارتياح ، ثم توجه الى السيد ارمان يطلب منه ان يسعى له بايجاد عمل، ثم يبسط له آلاف الفرنكات الخمسة التي اعطاها اياها صديقه جاك ، فيتناولها الرجل ويطلب منه ان يعود بعد اسبوع ليلقاه في المقهى نفسه حوالي السابعة مساء. ثم يسالها عن الاعمال التي يحسنها فلا يجـد دريس ما يجيبه به ، فاذا به يغضب وتتشنج عيناه وينفجر وهـو ينعي عليه انه لا يعرف ان يستعمل اصابعه العشرة ... وهنا يقتـرب الشاب الجزائري « عبد » فيرد على السيد ارمان بلهجة حازمة : « لقد دفع لك المبلغ الذي تدبر له به عملا ، فما جدوى هذه الدروس كلها ؟ ان عليك ان تختار مهنة اخرى اذا كانت هذه لا تعجبك . لقد قبلت دراهمه ، فاهتم بشانه !

وقال دريس بصوت خجول :

ـ كان لي في منصوره بعض الاصحاب الذين سافروا الى فرنسا واخذوا يرسلون بعض ما يكسبونه الى ذويهم . ولهذا جئت الى هنـا حين مات ابي وبدات العائلة تجوع .

فعاد السيد ارمان يعده بان يجد له عملا بعد اسبوع ، ثم خرج .. وبقي دريس وجها لوجه مع عبد الذي عرض عليه ، بعد ان عرف انه لا ماوى له ، ان ينام عنده ، فقبل دريس شاكرا ، ولكنه ساله عما اذا كان ذلك سيزعج احدا ، فكان جواب عبد انه كان لا يزال ثمة مكـان للنوم ، ثم اخذ ذراعه وانطلق به وراح يحدثه عما يعانيه في حيـاة البطالة التي يسوقها هو الاخر ، وقال انه يتظاهر بالشجاعة امام الاخرين ولكنه اشدهم خوفا .

وحين دخل دريس ماواه الجديد ، راى شيخا غارقا في كرسي ، واللعاب يقطر من فمه ، وقد سمعه يسال عبد :

ـ ها وجدته ؟

ـ كلا يا جدي . ان هذا اسمه دريس ، وليس هو ابنك

ـ انه مع ذلك يشبهه . وانا اعلم جيدا انه قد مات !

وروى عبد لدريس ان هذا العجوز كان قد تقاتل ذات مساء مع ابنه تنازعا على الفراش الذي كان ينام فوقه من يعود اولا الى الماوى . وقد قتل الاب ابنه ، مع انه كان يحبه حبا شديدا ، ثم راح يقضي وقتـه في البحث عنه ويسأل الجميع ان يعودوا به في المساء ، ويردد لهم « قولوا له اني لست غاضبا عليه ، واني ساتنازل له عن الفراش حين يعود... وجعل دريس يتمثل القتل والدم ، وخيل اليه ان هذا اللعاب الذي يقطر من فم العجوز لم يكن الا دما ، دما حارا كثيفا ، هو دم الذي يقتل.. « ان دم أخي كان ملك الذي صوب النار الى ظهره ، فاصبح سيد وجوده، وامتلك حياته كلها ، بافراحها واحزانها ... اتراني استطيع ان آخـذ دم رجل انتقاما لاخي ؟ »

وبعد دقائق ، خرجت من الركن المظلم في الحجرة فتاة في حـوالي

ـ التتمة على الصفحة ٧٢ ـ

صدر حديثا

سلسلة مراحل القراءة

تأليف جماعة من المربين

احدث سلسلة لتعليم اللغة العربية في الصفوف الابتدائية وفق أحدث الاساليب التربوية . تتألف من جزئين لروضة الاطفال وخمسة اجزاء لطلاب الصفوف الابتدائية ، وتمتاز بحسن التدرج ، وبراعة الاختيار وجمال الصورة ، وروعة الاخراج.

الناشر : لجنة التاليف المدرسي ـ بيروت

« دريس » ...

مأساة انسان الجزائر حين يدخل فرنسا !

للروائية الفرنسية
جانين اوريانو

عرض وتلخيص
الدكتور سهيل ادريس

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٢ ـ

الخامسة عشرة ، وارشدت دريس على الفراش الذي سينام فيه . وما لبث ان دخل الحجرة فتى في مثل سنها وتساءل عما اذا كان القادم الجديد سينام هنا ايضا ... ولاحظ دريس ان الفتى قد دفع الفتاة بمرفقه حين مر بها في طريقه الى فراشه . ثم دخلت الغرفة امرأة تلقاها عبد بترحاب ، فعلم دريس انها زوجته . واحس دريس بالدفء يسري في الغرفة من نار تشتعل في موقد ، فتذوق تلك الحرارة وشعر بالرضى ، ثم رأى الفتاة تتمطى وتنام في ركنها بعد ان القت على الفتى غطاء سميكا حيث كان قد تمدد في وسط الغرفة ، غير بعيد عن فراش دريس ... وتساءل : لماذا ادعى امام جاك انه كان يأوي الى غرفة في الليل ، ويقاسم احد رفاقه الطعام ، ويرفض ان يذهب الى بيته هو ، بيت جاك ؟

وفيما هو يفكر بذلك ، سمع نشيج العجوز وانتحابه ، ورآه يتطلع الى يديه ، وهو يقلبهما ... هاتان اليدان المعروقتان اللتان قتلتا ولم يبق فيهما جدوى . وتساءل دريس : « وايدينا ، كيف تراها تكون؟ الا يجد الناس انها غير قادرة على ان تطعمنا ؟ » وجعل يبذل جهده لينام، ولينيم تفكيره واسئلته . ومضت عليه دقائق وهو مغمض جفنيه ، ثم سمع حفيفا قريبا منه ، فشق عينيه ، فرأى الفتى الذي كانت فاطمة قد غطته يزحف باتجاه فراشها .. وحين رآها دريس تضم ذراعيها على جسد الفتى وترتفع يدها لتربت ظهره ، استغرق في فراشه ليخنق شكواه وهو يتهم فاطمة بانها بغي ، بغي ، بغي ...

(١٠)

بالرغم من ان دريس قضى ليلة مؤرقة متعبة في احدى حافلات المترو ، الذي أصبح مأواه الجديد ، فقد شعر في الصباح باحساس مكبوت من الفرحة هو الذي يسبق توقع كل حدث مرجو بحرارة . الا يبقى له في الواقع ثماني ساعات فقط حتى يلتقي السيد ارمان الذي سيحمل له بشرى العمل الجديد الذي سيمكنه من ان يأكل وينام ؟... تلك اذن هي آخر ليلة له من ليالي البطالة .. وكان قد عانى من مشقة النوم تحت الجسور وفي الانفاق ما حمله على تذكر بيته القروي الهادىء الذي كان ينام فيه مرتاحا على بؤسه وشقائه فيه . وتساءل عما اذا كانت امه ستموت كما مات اخوه قبل ان يتاح له عناقها ...

وحين وصل المقهى في الساعة السابعة مساء ، اجابه صاحب المقهى على سؤاله بقوله :

وأضاف رجل كان يشرب الخمر ـ بل لقد سافر في رحلة طويلة جدا !

وأضاف رجل كان يشرب الخمر ـ بل لقد سافر في رحلة طويلة جدا؟

واصيب دريس بالدهشة اولا ، ثم بالقلق ثم بالضيق . وحاول ان يفكر . ان هذا مستحيل ، وان السيد ارمان لا يمكن ان يخلف وعده. وادار نظره يبحث عن واحد ممن رآهم في الاسبوع الماضي ، فراعه ان يجد المقاعد كلها فارغة ... ومضت دقائق احس فيها بالدوار ، ثم سمع على الرجلين ، ثم خرج من الحانة وصدره يغلي بالغضب فيغشي الضباب من انهيار احلامه وذهاب دراهمه واستمرار بطالته .

وثار ـ ان ذلك اقسى من ان يستطيع احتماله ، والقى نظرات شاردة على لرجلين ، ثم خرج من الحانة وصدره يغلي بالغضب فيغشي الضباب

دار الآداب تقدم :

مدينة بلا قلب ..

للشاعر العربي

احمد عبد المعطي حجازي

الثمن ليرتان لبنانيتان

صدر حديثا

عينيه . لعل السيد ارمان قد سرق كثيرين قبله..

وكان يشعر انه يكاد يجن اذ يفكر بانه لا ينتظر بعد شيئا ... لقد كان يامل ان يجد مهمة يضطلع بها ، صلة تشده الى الحياة ، هذه الحياة التي تدور حوله من غير ان يستطيع الامتزاج بها ... كان يود ان يعمل شيئا ، ان يعمل حتى الشر ، شرط ان يحس بانه يعيش . اما الان فليس امامه الا منظور واحد : افق مسطح لا مجال فيه لشيء يؤمل .

وفكر في ان يعود ليرى صديقه « عبد » الذي انقطع عنه منذ تلك الليلة ... كان شبح فاطمة يتملكه ويعذبه ، فآثر ان يهرب منها ومن عبد . على ان هذا هو الان من الماضي ، ولا بد من رؤية صديقه ليروي له وليتلقى منه العزاء . غير ان زوجة عبد هي التي استقبلته بنظرات ملهوفة واخذت تسأله عن اخبار زوجها ، فعلم منها انه قد اوقف امس ، وانها ظنت انه يعرف اخباره ، ما دام صديقا له .. وتأثر لهذا الوصف « صديق » : هكذا اذن ! لقد كان جديرا بالنسبة لمخلوق بشري على الاقل بان يكون صديقا ، وهذه الكلمة وحدها تحمل له نهاية الوحدة والصمت ، وتحمل له الثقة والتعاون والضحكات المشتركة ..

وتابعت زوجة عبد : « منذ بضعة ايام ، وانا ارى زوجي يعود متأخرا في الليل ، وقد سررت بذلك لانه لم يعد يملك الوقت ليغضب مني بلا سبب ، ولانه كان يكره ان يبقى بلا عمل ، بينما كنت انا اعمل . واعتقد انهم كانوا يجتمعون لدى رفيق لهم ، وكانت انباء الجزائر تملأ رؤوسهم وكانوا يتمنون جميعا ان يعودوا الى وطنهم. ولم اعد اسمع منه الشكوى بانه غير مجد ، بل كان يخرج في الصباح كانه ذاهب الى المصنع، فاذا عاد بسط الي يديه وقال ، « اترين ؟ ان هناك من يحتاج اليهما . وسوف تهيئان اشياء عظيمة » وعلمت هذا الصباح انه اوقف مع عدد من رفاقه كانوا يعقدون اجتماعا سريا .»

وبعد ان كفكفت دموعها اضافت بعزم :

– ولكني لا بد ان القاه مرة اخرى . وسوف اساعده . سأذهب الى اجتماعاتهم لاني فهمت ما كان عمله . ان « عبد » رجل طيب وشجاع . لقد كان يكافح حتى لا يلعبوا مع غيره الدور القذر الذي لعبوه معه . كان يناضل حتى لا يظل الجزائريون مضطرين للقدوم الى فرنسا على غير جدوى !»

وشعر دريس برغبة تصعد في صدره ليتشبه بعبد، وفكر في ان صديقه كان على حق : فانه لا يجدينا شيئا ان ننتقد وان نتأسف عند الابواب، فتلك هي طريقة من طرائق القبول . وانما ينبغي ان نعمل ، مهما كلف الامر.. وقال لزوجة صديقته « سوف اساعدك للعثور عليه، ويجب ان يعود . وسوف احضر انا ايضا اجتماعاتكم وسترين اننا سننتصر في آخر المطاف »

وكان اولئك الذين يتحداهم هم جميع الذين كانوا يملكون عملا مؤمنا وسقفا يؤويهم .. وفكر في انه سيكون هو الآن حامي امرأة صديقه وسيمنع عنها كل اذى ... ولكنه اخذ يحلل نفسيته فيتبين انه كان ابدا رجلا انانيا لا يهتم بالاخرين . وقال في نفسه ان لم يرد قط ان ينضم الى اولئك الذين كانوا في مثل وضعه ، وانه لو لقي السيد ارمان ذلك المساء واخرجه من بؤسه لرضي واكتفى ولكف عن التفكير بالعاطلين عن العمل « لقد اضعت الوقت وانا وحدي ، ولم احضر قط احدى تلك الاجتماعات التيكنت اسمع رفاقي يتهامسون بها . لقد ظللت بلا حراك كما لو اني كنت بجانب من وضعوا عبد في السجن . »

ومر الزمن ، وعبثا التمس وسيلة يساعدها بها ، فلم يجد شيئا يقترحه عليها .. وما لبث مصير عبد ان تلاشى في ذهن دريس الذي عاد يشفق على نفسه وعلى كنزه المسروق . وقد ود لو يروى للمرأة سوء حظه ، ولكنه الفاها قد انصرفت عنه ، ففكر بانها قد فهمت من هو « وهي لا تنتظر مني شيئا بعد » وكان جائعا ، وكان تعبا ، وكان يرتجف خوفا من ان تنام دون ان تدعوه الى ان ينام في احدى زوايا الحجرة ، كما نام ذات ليلة . ورآها تبسط معطفها على طرف سريرها، ورأى محفظة تبرز من جيبها ..

(١١)

حين خرج من مسكن عبد ، كانت العاصفة ثائرة ، وكان هو يسير سير هشواء في الظلام ، ملتهب الجبين ، تتراقص الافكار في رأسه وتمتزج وتتلاشى تدريجيا ... وكان يتساءل : « والآن ،الى اين اذهب؟»

ولكنه تحسس في جيبه ورقة الالف فرنك ، فقال في نفسه ، ليخفف ندمه وتبكيت ضميره « ساردها لها » وكان قد اختطفها كالسارق حين رآها تستغرق في النوم ، ثم خرج الى الحانات يشرب ويشرب ليضعف وعيه بوضعه ، وليتلاشى غضبه تجاه هذه المدينة التي يصفعها المطر المثلج ، وتجاه هؤلاء الناس الذين كانوا يرفضون ان يقبلوه بين ظهرانيهم.

حتى اذا انفق كل ما سرقه ، عاد يشرد باحثا عن ملجا . وكانت قد ارتسمت في ذهنه، عبر قطرات المطر الثقيلة، صورة تبعث الدفء العجيب: صورة سرير . وفيما هو مخمور، راح يردد : « سانام الليلة في سرير »

دار الآداب تقدم

للشاعر العربي

يوسف الخطيب

الثمن ليرتان لبنانيتان

صدر حديثا

وكانت دموعه تختلط على وجهه بالمطر ، وما لبث السرير ان تجسد في فكره حقيقة رآها ذات يوم ، سرير لا يرشح رائحة القبو ، ولا رائحة المترو ، ولا رائحة القش المتعفن . واخذت ذكرى سرير الانسة بلانش تقوده في مسيره .

ـ هذا انت ؟ صديقي الصغير دريس ؟ ماذا يحدث لك ؟ ادخل ، ادخل، بالرغم من ان الوقت متاخر. اوه ، انك مبلل ، وقد احسنت صنعا بالمجيء!

وحين دخل ، صفق الباب بقدمه ، فارتاعت الانسة بلانش ، ورأته يطوف بعينيه في ارجاء القاعة ..

اما هو فلم يشعر يوما بانه كان على مثل هذه القوة وهذه الثقة بالنفس . واحس انه اصبح رزمة من الكراهية والمرارة . وكان عليه ان يشرح لهم انها لم تكن غلطته ، وانه لم يكن هو الذي ارادها .

لقد اكتشف دريس في نفسه ، عبر سكره وعربدته ، هذا الانسان الذي ولد من بؤسه وترعرع من الامه واحقاده . انه لم يعد يعرف انه كان صغيرا ، هزيلا ، جائعا ، وكان ينسى اسماله وهو يتأمل بوقاحة تلك المرأة التي كانت تنظر اليه نظرات استفهام . وكان يقذف بعيدا عنه غلاف الذل القديم .

وكانت الانسة بلانش قد بدأت تفكر بثوب تعطيه اياه بدلا من ثوبه المبلل ، ولكنها ظلت لحظات طويلة مترددة امام ثياب دانيال القديمة ، حتى فاجأها دريس وهي واقفة ازاء خزانة الثياب ، فعاودته ضغينته وقال لها:

ـ واخيرا ؟ لقد مات ابنك او ابن اختك، فهل تريدين ان تعرفي ما الذي فعله اصدقاؤه ؟ حسنا ! لقد احرقوا قرية برمتها انتقاما له . ولقد قتلوا اخي . وربما يكونون قد انتهكوا حرمة اختي الصغيرة وامي. وهي لا تملك حتى ثوبا لاخي تبكي عليه ، لانه لم يكن عنده الا ثوب واحد !

ولم يسع الانسة بلانش الا ان تقدم له ثوب دانيال وتغلق الخزانة على عجل . وعادت اليه بعد ان ارتدى الثوب ، فسألها بلطف :

ـ اليس جميلا صوت المطر الذي يهطل ؟ ان المرء ليشعر بالدفء حين يستمع اليه وهو في ظل سقف .. على ان في الخارج كثيرين يتلقون المطر على ظهورهم ، كما كنت منذ دقائق . كما ان هناك عشرة او اكثر متراكمين في قبو متخثر ، بينما نحن هنا اثنان فقط ينعمان بالدفء....

وارتعش صوته فجأة واستتلى يقول ـ : وهناك ، في بلدي ، ربما كانت السماء تمطر ايضا . اجل ، لا بد انها تمطر على جسد اخي ، وعلى اجساد رفاقي الذين ماتوا اليوم . ولكن هل تملك امي وامهاتهم وزوجاتهم الحق في ان يذهبن ويحملنهم الى ملاجئهم !؟

وقالت الانسة بلانش وهي تجمع اطراف شجاعتها : ـ اجلس يا صديقي دريس ، وقص علي ما الذي جعلك في هذا الوضع !

فاجاب ببساطة : ـ لقد مات اخي .

فقالت ـ كنت احسب ...

فلم يستمع اليها دريس وتابع يقول ـ وانت التي قتلته . لقد قتلته وقتلت انا ابنك ، فنحن سواء . ولكن هناك شيء : حين حدث هذا ، كان اخي فوق ارضه ، في حقله حيث ولد هو وابوه وجده ، وكان يعمل في المكان الذي عمل فيه ذووه دائما . وسيقول لك الناس انه كان شريفا وشجاعا . وهو لم يطلب منكم شيئا ، كما لم يطلب من جنودكم ان يأتوا ليدخلوا معاولهم القذرة في الارض التي كان يفلحها . اما انت فقد مات ابنك في ارض مجهولة لم يضع فيها ذووه اقدامهم ابدا . لقد مات ، لانه اراد ذلك ...

وارتفع صوت دريس :

ـ لقد طلبت منك المغفرة والصفح لموت ابنك . واعتقد انك تستطعين ان تطلبي مثل ذلك لموت اخي.

وكانت المسكينة قد تهاوت على مقعدها ووضعت رأسها بين كفيها ، وبدأت تشعر بانها تكره هذا الذي يهين دانيال . وحين طلب منها شيئا يشربه ، اسرعت تلبيه ، ولكنه قسرها على ان تجالسه وتشرب معه ... وقال لها بعد لحظات :

ـ لو كنت تعلمين ما معنى ان ينهض المرء عشرات المرات كل ليلة ليجد نفسه على مقعد حجري ، او في قبو او في اي مكان لا يود ان يجد فيه نفسه ... ولو كنت تعلمين ما معنى ان لا يكون للمرء قط من يتكلم اليه ، او يمد اليه ذراعه في الليل ليلتمس الدفء فلا يجد الا الفراغ ... هل تراك سمعت الانات المريعة التي يبعثها على مقربة منك رجال لا تعرفينهم ولكنك تدركين شقاءهم ووحدتهم وانت تسمعينهم يتخبطون ويبكون في نومهم ، حتى يقبض قلبك بالذات وتأتيك الرغبة بان تسدي اذنيك وتصرخي باعلى مما يصرخون حتى لا تسمعيهم ؟»

وتابع دريس : « احسبني يجن جنوني اذ افكر باني لا افيد أحدا ، وبان احدا لا يحتاجني ، ولا يحتاج يدي ، واني لا استطيع حتى ان اعود الى الجزائر حيث يعيش من يسعدون برؤيتي وحدهم . لقد سرقوا المال الذي اعطيتني اياه وكنت ارجو ان ارده لك يوما . وهذا المساء انا الذي سرقت الف فرنك من امرأة صديقي الوحيد ».

وتوقف فجأة ثم قال : اريد ان انام . وقد قلت اني سأنام هنا »

ولكن الانسة بلانش عرضت عليه مبلغا يستطيع ان يستأجر به غرفة في الفندق ، ولكنه رفض وقال انهم سيسرقون المال كما سرقوه من قبل،

دار الآداب تقدم :

قصائد عربية

للشاعر العربي

سليمان العيسى

الثمن ٣ ليرات لبنانية

صدر حديثا

ثم توجه الى غرفة النوم حيث واجهه السرير الفخم . غير ان المراة لم تستطع ان تضبط اعصابها اكثر مما فعلت : فتشبثت به بكل قواها بغية اخراجه من البيت ، وهي تبتهل اليه ان يذهب ويعود في اليوم التالي . ولكنه ارتد اليها وامسك بذراعيها في حركة دفاعية ، فكفت عن الصياح ، ولم يكن يسمع في الصمت العائد الا صوت انفاسهما المضغوطة .

ولم يسمع دريس لابتهالاتها ، بل حملها الى السرير واخذها بقسوة ، فتلطخ الغطاء الابيض بالدم ، وقال ببلادة : « لم اكن اعرف .. عفوا ..» ثم اخذه الغثيان فتغيأ على السجادة .

ونهض وهو يترنح ، وامر يده على هذا السرير الذي لن ينام فوقه وتسلل كانه لص .

*

وفيما كان دريس يتمشى في الشوارع الخالية حيث كان المطر قد انقطع عن الهطول ، اخذ يصيح :

ـ كنت خير شاب في القرية ، وكان الجميع يقولون ذلك . ولكن ما الذي فعلوه لي ، ما الذي فعلوه بي ؟!

والتفت مار مستعجل ، فنظر اليه بنفور وقال :

ـ هؤلاء الافريقيون الشماليون ، جميعهم عرابيد !

ترجمة وتلخيص

سهيل ادريس

مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني

بيروت شارع سوريا ص.ب. ٣١٧٦ تلفون ٢٧٩٨٣

تاريخ العلامة ابن خلدون

يسر دار الكتاب اللبناني ان تزف البشرى الهامة الى جميع وزارات التربية والتعليم وجميع المؤسسات الثقافية في البلدان العربية :

انها تعلن عن قرب انتهاء طبع الموسوعة الكبرى للعلامة ابن خلدون ، وقد انتهت الان من طبع المجلد السادس ، وقريبا جدا ينتهي طبع المجلد السابع .

ان دارنا اذ تلفت انظار جميع هذه المؤسسات وجميع الادباء والعلماء في الاقطار العربية ان ثمن المجموعة الان مئة وعشر ليرات لبنانية تحث من يهمه امر اقتناء هذه الموسوعة على الاسراع بحجز مجموعته ، اما عن طريق الناشر رأسا او بواسطة المكتبات الكبرى في العالم العربي ، مع العلم بان ثمن المجموعة الكاملة سوف يصبح عند انتهاء الطبع ، اي بعد مضي ثلاثة اشهر مئتين وعشرين ليرة لبنانية .

هذا وقد صدر حتى الان ثلاثون جزءا ، ولم يبق الا ثلاثة اجزاء فقط ، ونلفت نظركم ايضا الى الفهارس العلمية الهامة والى ان النسخ محدودة .

فبادروا الى اقتناء نسخكم .